أدب الأطفال
والإعلام الإسرائيلي

إعداد/ د. سناء عبد اللطيف[1]

مقدمة:

" يلعب الإعلام بصفة عامة دورا هاما في تشكيل وجدان وثقافة الطفل، كما يعتبر الأدب عاملا هاما من عوامل تربية الطفل وأداة من أدوات بناء وإعداد النشء، وفي إسرائيل تزداد أهمية هذا الدور بشكل ملحوظ، ولاسيما أن المجتمع الإسرائيلي يواجه أزمة ثقافية حقيقية ومشكلة خطيرة؛ بسبب التنوع الثقافي والعرقي الذي يتسم به هذا المجتمع. فمن المعروف أن ذلك المجتمع يزيد عن نصف قرن بسنوات قليلة. كما أن تكوين المجتمع الإسرائيلي قد تم بشكل غير عادي حيث تشكل من تجميع يهود العالم على أرض فلسطين، وقد جاء كل منهم يحمل معه ثقافة الموطن الأصلي له، سواء من حيث اللغة والعادات والتقاليد والاتجاهات والثقافة، وبقى الدين اليهودي هو العامل الوحيد الذي يوحد بين هذه الطوائف اليهودية. من هنا كانت مشكلة التكوين الثقافي الموحد واحدة من أهم مهام المسئولين الإسرائيليين على جميع المستويات في أجهزة الدولة لتضييق الفجوة بين اليهود لصهرهم في بوتقة ثقافية واحدة.

هذا، وتولي أجهزة الإعلام الإسرائيلي عناية خاصة لثقافة وتربية الطفل الإسرائيلي عن اللأدب فتطوعه وتفصله لكي يسير وفق إستراتيجية الدولة، ومن خلال خطة مدروسة بطريقة واعية تعمل على خدمة أهداف النظام، وتتماشى مع اتجاهاته وفلسفته طبقا لمفاهيم الأيديولوجية الصهيونية، ذلك لأنه في مرحلة الطفولة تتحدد المعالم الرئيسية لشخصيته طبقا لما يكتسبه من مفاهيم وقيم وعادات وتقاليد ومبادئ المجتمع الذي ينشأ فيه. بالإضافة إلى أن ما يكتسبه الطفل في تلك المرحلة يؤثر على أفكاره واتجاهاته في المستقبل بدرجة كبيرة يصعب تغييرها أو تعديلها بعد ذلك لأنها تكون محفورة في إطاره المرجعي بشكل ثابت. من هنا يتضح أهمية وخطورة الأثر الذي يتركه أدب الموجه إلى الطفل حيث أنه يكون مسئولا عن تحديد اتجاهات نموه العقلي وتكوينه النفسي، وخاصة أن أدب الأطفال كالأدب العام، هو مرآة للمجتمع، تعكس وجهة النظر الاجتماعية والثقافية والسياسية في المجتمع، والإعلام الإسرائيلي يعتبر من أخطر وسائل الإعلام التي تجند جميع إمكانياتها لتحقيق أهدافها السياسية وترويج مفاهيمها ومعتقداتها.

---

(1) أستاذ الدراسات العبرية الحديثة المساعد بكلية الآداب ـ جامعة حلوان.

وسوف نعرض بإيجاز لإستراتيجية إعلام الطفل في إسرائيل وتطور اتجاهات أدب الأطفال العبري، والمحاور الأساسية والمنطلقات الرئيسية التي يحرص الإعلام الإسرائيلي الالتزام بها من أجل تدعيم النسق القيمي والفلسفي لتربية الطفل في إسرائيل من خلال الأدب.

إستراتيجية إعلام الطفل في إسرائيل:

من المعروف أن الإعلام الإسرائيلي إعلام دعائي مجند، وأن أدب الأطفال العبري له خصوصية ثقافية تسعى إلى صناعة تربوية موجهة لأهداف معينة؛ حيث يركز على موضوعات معينة حسب كل فترة من حياة اليهود.

لمحة عن اتجاهات أدب الأطفال العبري قبل الدولة:

ترجع بداية أدب الأطفال العبري المكتوب للأطفال إلى نهاية القرن الثامن عشر في برلين. وكان يحتوي علي مقتطفات أدبية مختارة. ويقسم المؤرخون أدب الأطفال الذي كتب في نهاية القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين إلى ثلاث فترات:

1. **فترة الهسكالاه (التنوير) في وسط أوربا من**1790: 1840: اتجه أدباء الأطفال في هذه الفترة إلى إحياء اللغة العبرية وسعوا إلى خلق جيل من الأطفال يستطيع قراءة اللغة العبرية في كتب أدبية غير اللغة العبرية التي يقرؤها في الكتب المقدسة. واحتوت هذه الكتب على أمثال وقصص وقصائد شعرية ومغامرات عن الرحلات وأساطير شعبية يهودية وأخري مترجمة عن الشعوب الأخرى.

2. **فترة الهسكالاه في شرق أوربا من سنة** 1840:1880: اهتم الإنتاج الأدبي للأطفال في هذه الفترة بتلقين الأطفال مبادئ حركة الهسكالاه وبث القيم القومية في وجدانهم، فكان أدبا تعليميا وتثقيفيا وأخلاقيا.

3. **فترة حركة أحباء صهيون من** 1881:1905: أنتج في هذه الفترة أدبا هدفه الأساسي قومي يعمل علي إحياء اللغة العبرية باعتبارها لغة قومية، ويعمل أيضا علي تنمية الوعي القومي، وترسيخ مقولة الشعب اليهودي الواحد، وتعزيز قيمة الوطن القومي في وجدان الأطفال.

ومع بداية القرن العشرين تقريبا أصبحت فلسطين مركز الأدب العبري بصفة عامة، وحدث تطور كبير في أدب الأطفال.

خلال العشرينيات و الثلاثينيات من القرن العشرين ساد في أدب الأطفال العبري اتجاه رومانسي تجاه مفردات الواقع العربي؛ حيث كانت علاقة اليهود والعرب تتسم بحسن الجوار والنوايا الطيبة، فكتب كثير من الأدباء عن هذه العلاقة الطيبة ونظروا إلى العرب نظرة إنسانية كبشر. وظهر هذا الاتجاه الرومانسي تجاه العرب في القصص التي كتبت في صحف الأطفال في ذلك الوقت حيث أكدوا علي الصفات الإيجابية في شخصيتهم كالكرم الزائد والجرأة والشجاعة والوفاء والشفقة، بالإضافة إلى ذلك

فان أغلب الأدباء اتجهوا في أدبهم للأطفال لوصف فلسطين وطبيعتها ثم أخذوا يعبرون بصراحة عن الحلم الصهيوني في الاستيطان في فلسطين وبناء دولة إسرائيل.

بعد ذلك تأرجحت العلاقة بين اليهود والعرب بين المودة والتعاون، وبين الصلف والتشدد. ثم بدأ العرب يستشعرون الخطر مع تزايد موجات الهجرة اليهودية، وتحالف اليهود مع القوي الأجنبية، وصدور وعد بلفور عام 1917 وحدوث الانتداب البريطاني. ثم زاد التوتر حدة بعد أحداث العنف بسبب حائط المبكى عام 1929، ثم الثورة العربية الكبرى عام 1936 وبعدها المرحلة الثانية من الثورة العربية الكبرى عام1937 : 1939 ثم حرب عام 1948، ثم إعلان إقامة دولة إسرائيل. ومنذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا دار الصراع العربي الإسرائيلي في حلقة مفرغة. هذا وقد أخذ أدباء الأطفال يعبرون عن الصراع بين المستوطنين اليهود والعرب في تلك الفترة.

اتجاهات أدب الأطفال العبري بعد الدولة:

منذ إقامة دولة إسرائيل بدأ الإعلام الإسرائيلي يفصح عن أهدافه، وعبرت اتجاهات أدب الأطفال العبري عن تلك الأهداف تبعا للتطور السياسي الاجتماعي الذي حدث علي الساحة الفلسطينية والعربية؛ حيث جند الأدباء أقلامهم بشكل مكثف لخدمة أهداف الحركة الصهيونية، وترويج أيديولوجيتها وأفكارها، وتدعيم مبادئها ومقولاتها الأساسية وعقائدها الفلسفية حتى أنه أطلق على أدب هذه الفترة "الأدب الصهيوني الدعائي الملتزم المجند". ومن هنا دار الإنتاج الأدبي الموجه للأطفال في فلك اتجاهات الأيديولوجية الصهيونية، وتركزت محاور أدب الأطفال على موضوعات بعينها تؤثر في نفسية الطفل ووجدانه وتشكل اتجاهاته لتخلق النموذج الصهيوني الذي يأمل في صياغة شخصيته علي النحو الذي يريدونه.

وتتلخص هذه المحاور فيما يلي:

- § الترويج لمقولة المعاناة اليهودية عبر العصور والذي توافرت فيها بُعد الامتداد التاريخي، وبُعد الامتداد الجغرافي، وبُعد الفارق الكيفي (بمعنى أن اضطهاد اليهود استمر على مدى التاريخ وفي كل مكان، وأنهم قاسوا من الاضطهاد ما لم يقاسيه بشر غيرهم). والهدف من ذلك هو تعبئة الطفل اليهودي بالحقد والكراهية لكل من هو ليس يهوديا.
- § الدعوة إلى تقديس الريادة والرواد وما يتبعها من مفاهيم احترام العمل اليدوي واقتحام الأرض وغزو الصحراء باعتبارها من الوسائل الرئيسية لتحقيق الحلم الصهيوني.
- § العمل على تثبيت الوعي القومي بالحق الديني وتاريخي لليهود في فلسطين فيما يسمى "أرض الميعاد" وما يستتبعها من "حتمية الهجرة إلى فلسطين" و "تجميع شتات المنفيين" من منطلق مقولة "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب".
- § الدعوة إلى التمسك بأرض فلسطين المعروفة في الفكر الصهيوني بأرض إسرائيل على أنها أرض الميعاد، وأنها المكان الوحيد الذي يحتمي فيه اليهود، والذي يستطيعون العيش فيه بأمان وسلام.

- الترويج لمقولة " لا خيار " بمعنى أن الحرب مفروضة على الإسرائيلي، لكي يحافظ على حياته، لأنه إذا لم يقم هو بالبدء بالحرب على الآخر، فإن الآخر سوف يعتدي عليه، لأن العالم كله يكره اليهود ويريدون القضاء على هذا الجنس البشري، ويأتي ذلك في إطار تدعيم الشعور بالخطر الذي يحيق باليهودي، ولذلك يجب عليه أن يكون مستعدا للحرب في كل لحظة. من ناحية أخرى يقوم الأدب بدور فاعل في ترسيخ عدم الإحساس بالذنب على الأبرياء الذين يُقتلون في الحرب من العرب.
- الاتجاه إلى إبراز الرموز الدينية والآثار التاريخية اليهودية في فلسطين من منطلق مقولة "الأرض التاريخية" التي تمثل مفهوما محوريا في الفكر الصهيوني.
- الاتجاه إلى تنمية الوعي القومي بالتضامن اليهودي والمصير المشترك انطلاقا من مقولة "الشعب اليهودي الواحد" التي يروج لها الفكر الصهيوني باعتبارها واحدة من أهم عوامل تكوين "القومية".
- الاتجاه إلى تمجيد البطولة اليهودية إلى درجة العبادة.
- الترويج لتشويه صورة العربي، ووضعه في إطار صور مغلوطة، ووصفه بصفات سيئه؛ من أجل تغذية مشاعر الطفل بالكراهية والعداء للعرب.

اتجاهات أدب الأطفال العبري بعد حرب 1967:

بعد حرب 1967 زاد في الإعلام الإسرائيلي الموجه للطفل حيز الموضوعات التي تحدثت عن البطولة في مواجهة العرب، وذلك من أجل تنمية الإحساس بالتفوق وتدعيم الاعتقاد بالتمايز اليهودي انطلاقا من مقولة "شعب الله المختار".

اتجاهات أدب الأطفال بعد حرب عام 1973:

لم تتطرق وسائل الإعلام الإسرائيلية، ولا كتب الأطفال العبرية إلى الانتصارات التي حققتها مصر في حرب أكتوبر عام 1973؛ وذلك حتى لا يكتشف الأطفال زيف الادعاءات الصهيونية لأسطورة جيش إسرائيل الذي لا يقهر. وركز الكثير من الأدباء على كتابة قصص تتحدث عن الفدائيين، لا على أنهم أبطال يضحون بحياتهم من أجل استرداد أرضهم وحقوقهم المشروعة، ولكنها تتناول العمليات الفدائية على أنها أعمال إرهابية ضد اليهود حتى يجعل الأطفال يسعون إلى الانتقام من العرب، ومن ناحية أخرى يبررون الأعمال الوحشية التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين. كما ظهر أيضا في كتب الأطفال اتجاه آخر عند بعض أدباء الأطفال وهو التخفيف من حدة التطرف والوصف السلبي للعربي، وظهرت لهجة إنسانية ومحاولة لمواجهة الفدائيين كبشر وتقديم المساعدة للجرحى منهم.

ومن الملاحظ أيضا أنه بعد حرب عام 1973 عاد الاتجاه الرومانسي للظهور مرة أخرى في أدب

الأطفال؛ حيث اتجه كثير من الأدباء إلى الحديث عن ذكريات العلاقة الطيبة بين اليهود والعرب في العشرينات والثلاثينيات والأربعينيات.

كما كتبت قصصا تحكى عن علاقات حب نشأت بين شبان وشابات من الإسرائيليين والعرب، علاقات اقتحمت الحواجز القومية والدينية وهدمت أسوار الكراهية. ويجدر الإشارة هنا إلى أنه بالرغم من حرص أدباء الأطفال في إسرائيل محاولة العودة إلى الاتجاه الرومانسي إلا أنه غالبا ما تتضمن القصص أوصافا للعرب والقرية العربية تدخل في نطاق القناعات الثابتة والقوالب الجامدة والصفات النمطية، وأكثر من هذا فانه حتى علاقات الصداقة يشوبها الشك في كثير من الأحيان. كما يلاحظ أيضا أنه عند وصف العربي الجيد الطيب في القصة يكون ذلك من منظور اليهودي ومصلحته فقد يكون العربي الخائن لوطنه إيجابيا بالنسبة لليهودي.

ـ اتجاهات أدب الأطفال العبري بعد اتفاقية السلام:

انعكس مناخ السلام على أجهزت الإعلام الإسرائيلية وأدب الأطفال العبري، فاتجه عدد من الأدباء إلى إظهار نظرة إنسانية نحو العرب بشكل أكثر إيجابية، حيث رسموا صورة للعربي كانسان وليس كعدو، كما أعلنوا عن الكراهية للحرب، وإبراز آثارها السيئة على اليهود والعرب على حد السواء، كما ظهرت في بعض الأحيان الرغبة في السلام، والأمل في التعايش جنبا إلى جنب في ظل صداقة وعلاقات ودية. كما أعفت الشخصيات العربية من وضعهم في القوالب الثابتة للعربي في الفكر الصهيوني.

. . . وبعد فقد رأينا أن الإعلام الإسرائيلي له دور هام في تشكيل وجدان وثقافة الطفل، وأنه يستغل أدب الأطفال العبري ويوظفه توظيفا جيدا لكي يحقق أهداف وخطة الدولة؛ من أجل صناعة مواطن إسرائيلي ينسجم مع طبيعة ثقافة المجتمع الإسرائيلي، ويتلاءم مع خصوصيتها، ويتسق مع توجهات الدولة وإستراتيجيتها.

obeikandl.com